نظرية السمات الفارقة لياكبسون وأثر تطبيقها في تعليم أصوات اللغة العربية (السنة الثانية ابتدائي)

د / شعيب سليمة

كلية الآداب واللغات والفنون

سيدي بلعباس

Pour une bonne communication d'autrui la linguistique générale s'appui sur la description scientifique pour l'étude de grammaire utiliser par les communicateur et leurs entourage linguistique. Ce qui oblige à employer les résultats de cette étude dans plusieurs domaines tels que l'apprentissage des langues, la traduction, production des dictionnaires, les traitements orthophonique, ce qu'on appelle les champs de linguistiques appliquée qui sont spécialement lié à la linguistique générale. Dans la mesure de tirer des recherches en vue et de les employer dans plusieurs langues spécifique.

تنتهج اللسانيات العامة الوصف العلمي في دراسة القواعد التي يستعملها المتكلم خلال التواصل باللغة مع غيره من أفراد جماعته اللغوية ،و قد توظف نتائج هذه الدراسة في حقول عدة كتعليم اللغات، و الترجمة ،وصناعة المعاجم،و معالجة أمراض الكلام ،ويطلق على العلم الذي يضم هذه الحقول اللسانيات التطبيقية الذي يتصل اتصالا وثيقا باللسانيات العامة، فيستمد منها نتائج بحوثهابقصد توظيفها في عدة مناهج كتعليم اللغات خاصة، إذ استفادت اللسانيات التطبيقية استفادة جمة من التنظير اللغوي الذي جاءت به المدارس اللسانية كالمدرسة البنيوية، و المدرسة الوظيفية ،و المدرسة التوليدية التحويلية ،حيث أضفت هذه المدارس اللغوية نظرة جديدة في وصف نظام اللغة في مستوياته الصوتية و الصرفية و التركيبية .

و من بين هذه المدارس اللسانية التي عنيت بالدرس الصوتي المدرسة الوظيفية، فقد كان لنتائج هذه الدراسة دور في تطوير مناهج تعليمية اللغات، و لاسيما في تعليمية أصوات اللغة العربية .

نبذة حول نشأة المدرسة:

أسس العالم التشيكي فيلام ماثيزيوس و بعض معاونيه نادي براغ اللساني سنة 1926. وأصبح هذا النادي يعرف بمدرسة براغ ،أو المدرسة الوظيفية بعد انخراط تروبتسكوي و ياكبسون و كارسيفيسكي في هذه الحلقة.وبرز أصحاب هذه المدرسة للمرة الأولى عالميا في مؤتمر اللغويين الأول في لاهاي سنة1928 حين اشتركوا في النقاش حول مناهج الوصف اللغوي ، وتُوج اشتراكهم في هذا المؤتمر بميلاد علم جديد و هو الفونولوجيا.(1)

منهج المدرسة الوظيفية

لم تحدد هذه المدرسة منهجها إلا بالانطلاق من تحديد للغة باعتبارها نظاما وظيفيا يرمي إلى تمكين الفرد من التعبير و التواصل، "*فإذا كان دور اللغة هوتوفير أسباب التواصل، فإن دراسة اللغة ينبغي أن تراعي ذلك ، فكل ما يضطلع بدور في التواصل ينتمي إلى اللغة، و كل ما ليس له مثل هذا الدور فهو خارج عنها ، و بعبارة أخرى فإن العناصر اللغوية هي التي تحمل شحنة إعلامية أما التي لا يمكن أن نعتبرها ذات شحنة إعلامية فلا يعتد بها اللغوي ، فالأولى هي وحدها التي لها وظيفة.*" (2)

و قد اعتمدت المدرسة الوظيفية على هذا المنطلق لتدرس خاصة الأصوات و تضبط منهجا للتمييز بين ما هو وظيفي فيها و ما ليس وظيفيا ، و يعد تروبتسكوي أول من بلور نتائج هذه الدراسة في كتابه "مبادئ الفونولوجيا"، فقد توصل إلى وضع التصنيف الفونولوجي و الذي يمّكن الباحث من معرفة النظام الصوتي لأية لغة من لغات العالم، والمتمثل في التقابل الفونولوجي للأصوات(3) .فقد شعر كل من تروبتسكوي وياكبسونبأن الحاجة ملحة لتقديم مناهج مختلفة تدرس بها الأصوات اللغوية ، و أطلقأصحاب هذه المدرسة تسمية الفونولوجيا على العلم الذي يختص بدراسة الأصوات اللغوية داخل السياق الكلامي ، واختاروا اسم الفونيم للدلالة على أصغر وحدة صوتية في الكلمة،على حين خصصوا مصطلح الفونتيك لدراسة أصوات الكلام بحسب مناهج العلوم الطبيعية.و قد اعتمد ياكبسون التعريف الوظيفي للفونيم الذي جاء به بلومفييلد و الذي رأى أنه أصغر وحدة صوتية تحدث تمييزا في المعنى(4)،و من هذا التحديد استقى ياكبسوننظريته إذ اعتبر أن الفونيم "*أصغر ذرة في الكلام ،و مثلما يمكن أن تتسبب تجزئة الذرة أو تغييرها إلى تغيير المادة التي تتكون منها كذلك يمكن أن يتسبب تغيير الفونيم في فقدان الكلمة لمعناها لتتحول بها إلى معنى آخر، و الوسيلة المناسبة لمعرفة الفونيمات هي إدراج الكلمة مع كلمة أخرى تناظرها في جميع المكونات باستثناء مكون واحد ، و هذا ما يسمى بالثنائية الصغرى .*" *(5)*

قام ياكبسون بوضع نظرية السمات الفارقة على أساس المقابلة الثنائيةالتي تستند إلى التصنيف سمعيا و نطقيا ، بمعنى أن كل سمة فارقة ترد فيمقابلةثنائية من شأنها أن تحدث تغييرا على مستوى الدلالة فتكتسب هذه السمة المرتبة الفونيمية، و تستقل كصوت أساسي في اللغة . و قد قام بمقابلات فونولوجية عدة تعتمد التمييز السياقي .فالفونيمات B و P يتقابلان في الفرنسية لأنهما يستخدمان في التمييز بين فتقابلهما لا يقوم إلا على سمة واحدة ، و هو بالتالي ليس تقابلا كليا شاملا ، و إنما ينحصر في العلاقة بين المجهور (B) و غير المجهور (P) . فنحن لا يمكن أن نميز الفونيم المجهور إلا إذا كان هناك فونيم غير مجهور . و هذه الثنائية هي التي تجعل السمة أكثر وضوحا و أكثر بروزا فكل العلاقات بين الوحدات الصوتية التمايزية في لغات مختلفة تخضع لنظام ثنائي (وجود أو عدم وجود سمة تمايزية فارقة)

و قدم ياكبسون نتيجة لذلك النموذج المعروفالمكون من اثني عشر زوجا من السمات الثنائية الذي يشكل نموذجا لغويا عالميا ، فالنظام الفونولوجي المعين لكل لغة هو اختيار من الثنائيات المتقابلة الاثني عشرة ، و لا تحتاج أي لغة أو تستعمل كل الثنائيات، ومن بين هذه السمات :صائت \صامت، مجهور\ مهموس، زفيري\شهيقي، أنفي \ شفهي، احتكاكي\انفجاري... (6)

غير أن نظرية السمات الفارقة لم تتوقف عند حد التصنيف الصوتي الخالص فقد صرح ياكبسون بأن :*"هذه الطريقة تسهل مهمة الإرسال و الإدراك باللجوء إلى ثنائية السمات الفارقة و ماتقدمه من تبسيط" .(7)*

و من هذا المنطلق رأى ياكبسون أن لهذه النظرية دورا بالغا في دراسة الكثير من الجوانب اللغوية كالحبسة واكتساب اللغة عند الطفل(8) ،كما أن بعض مناهج تعليم الأصوات اللغوية قد استوحت مبادئها من هذه النظرية ،فبنت مناهجها على أساس السمات الفارقة.

تطبيق نظرية السمات الفارقة في تعليمية أصوات اللغة العربية في مقررات السنة الثانية ابتدائي:

لأول مرة تشرك المنظومة التربوية في الجزائر متخصصين لسانيين وتربويين نفسانيين في انجاز برامج تعليم اللغة العربية و صياغتها و إعداد الكتب المقررة لها ، و من بين هؤلاء المتخصصين الذين ساهموا في إنجاز برامج تعليم اللغة العربية الأستاذان الجامعيان سيدي محمد دبّاغ ، و حفيظة تازروتي(9)

و المتتبع لمناهج تعليمية الأصوات يلاحظ أن هذين اللغويين اعتمدا نظرية السمات الفارقة في إعداد برنامج تعليم أصوات اللغة العربية للسنة الثانية ابتدائي ،و يبدو ذلك جليا من تسمية الكتاب المخصص للقراءة بلغتي الوظيفية(10)،

و قد قام هذان اللغويان بتقسيم برنامج تعليم اللغة العربية للسنة الثانية في أربع عشر محورا تنفد في مرحلتين و تعد المرحلة الأولى مرحلة مراجعة ، و تمتد من المحور الأول إلى المحور الخامس و تدوم مدة شهرين كاملين ، يتم فيها مراجعة الأصوات وفق المهارات اللغوية مهارة السمع مهارة النطق مهارة القراءة مهارة الكتابة ومهارة الإملاء، مقسمةعلى حصص (أقرأ و أميز) ،(أسمع و أكتب)،(ألاحظ و أتدرب)...

و تقدم الأصوات في هذه الحصص أزواجا وفقا للسمات الفارقة على النحو الآتي:

[س- ز]،[ت- ط]،[ش- ج]،[ث- ظ]،[س-ص] ،[ث – ذ]،[ح – ع]،[ء- هـ]،

[خ-غ] ...(11)

من خلال هذا التصنيف للأصوات نستشف أن القائمين على وضع مقرر تعليمية الأصوات العربية جعلا من نظرية السمات الفارقة مبدأ أساسيا في طريق التمييز السمعي و النطقي و الإملائي بين الأصوات ،إذ ينبغي للتلميذ إدراك الفرق مثلا بين صوتي السين و الزاي عن طريق تقديم هذين الصوتين في كلمتين متجانستين في جميع أصواتهما باستثناء صوت واحد كما في كلمتي (مسمار، مزمار) ،فصَوْتا السين و الزاي يتحدان في مخرجيهما –الأسناني اللثوي – غير أن السمة الفارقة بينهما تتمثل في أن السين مهموس و الزاي مجهور و كذلك بالنسبة لأصوات (الغين و الخاء) و(العين و الحاء) فنجد مثلا أن صوتي الغين و الخاء قدما في الكلمتين (غيمة و خيمة). ولا تقتصر السمة الفارقة على الجهر و الهمس بل نجد سمات فارقة أخرى يكون الأساس فيها شكل حجرات رنين الصوت أثناء النطق مما يتسبب عن وضع مؤخر اللسان ارتفاعا أو انخفاضا ، و هذا الأساس يعطينا التفريق بين المفخم و المرقق من الأصوات مثل صوتي الصاد و السين و صوتي الطاء و التاء.أما صوتا الهمزة و الهاء الحنجريان فتتمثل السمة الفارقة بينهما في أن الهمزة صوت انفجاري و الهاء صوت احتكاكي. و يهدف واضعا مقرر تعليمية اللغة العربية للسنة الثانية ابتدائي من إدراج كلمة مع كلمة أخرى

تناظرها في جميع المكونات باستثناء مكون واحد إلى تمكين التلميذ من اكتساب القدرة على التمييز دلاليا بين الكلمات و التمييز –بين السمات الفارقة لمجموع الأصوات اللغة العربية و يتأتى من ذلك تعويد حاسة السمع علىإدراك الفروق صوتيا و دلاليا و ترويض جهاز النطق و التحكم في تحريك أعضاءه داخل حجرات الرنين من أجل إنتاج أصوات اللغة العربية بطريقة صحيحة .و يرى محمد الأوراغي أن " التمييز بحاستي السمع و النطق بين صور صوتية متجانسة مثل (سيف و صيف)،(تين و طين)،(ذليل و ظليل)...يكون أسهل على التلميذ من التمييز بين الصور الصوتية المتباينة من قبيل (تلفاز، تمساح ، قعود ، جلوس، دار، ساق ...) و هلم جرا" (12)

الإحالات :

(1) - أحمد مومن اللسانيات النشأة و التطور ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ط 1-2005 ص 136

(2) - عبد القادر المهيري نظرات في التراث اللغوي العربي مقالة اللسانيات الوظيفية دار الغرب الإسلامي لبنان ط 1-1993 ص 232.

(3) - أحمد مومن اللسانيات النشأة و التطور ص 143 .

(4) – رومان ياكبسون و موريس هالة أساسيات اللغة ترجمة سعيد الغانمي المركز الثقافي العربي ط 1-2008 ص 14 .

(5) - المرجع نفسه ص 15.

(6) – فاطمة الطبال بركة النظرية الألسنية عند رومان ياكبسون- دراسة و نصوص – المؤسسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع بيروت لبنان ط 1-1993 ص 42 .

(7) – المرجع نفسه ص 43.

(8) - رومان ياكبسون و موريس هالة أساسيات اللغة ص30.

(9) - أرجع البعض سبب فشل النظام الأساسي السابق إلى انعدام الوعي اللغوي لدى واضعي هذا النظام في برامج تعليم اللغة العربية و الذي كان يقتصر على مفتشي التعليم الابتدائي ، و الجدير بالذكر أن المجلس الأعلى للتربية قد أخذ على عاتقه و منذ تأسيسه في 26 نوفمبر 1996 مهمة تقييم المنظومة التربوية قصد إصلاحها ، و في الندوة الوطنية التي انعقدت في جوان 1998 تم إصدار وثيقة تتضمن خطة إصلاح التعليم الأساسي و المبادئ العامة للسياسة التربوية الجديدة .بعد ذلك تم تشكيل لجنة وطنية من طرف الدولة سنة 2000 لإصلاح المنظومة التربوية التي أصدرت تقريرها في مارس من سنة 2001يقتضي تطبيق هذا البرنامج الجديد في السنة الدراسية 2003-2004

(10) – ينظر سيدي محمد دباغ و حفيظة تازروتي كتاب لغتي الوظيفية دفتر التطبيق للسنة الثانية ابتدائي ديوان المطبوعات المدرسية الطبعة الأولى 2004-2005

(11) - سيدي محمد دباغ و حفيظة تازروتي لغتي الوظيفية دليل المعلم للسنة الثانيةمن التعليم الابتدائي ديوان المطبوعات المدرسية الطبعة الأولى 2004-2005

(12) - محمد الأوراغي اللسانيات النسبية و تعليم اللغة العربية منشورات الاختلاف الجزائر الطبعة الأولى 2010 ص 10.